البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب وجوب الدخول في الإسلام
- وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].
- قال مجاهد: " السبل: البدع والشبهات ".
- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه، وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
- «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري.

- قال ابن تيمية-رحمه الله: قوله "سُنة الجاهلية": يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص، كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.
- وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فإن استقمتم فَقَدْ سَبقتم سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعِيدًا".
- وعن محمد بن وضاح: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحِلَق فيقول: فذكَرهُ، وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم")}.

- قوله: (باب وجوب الدخول في الإسلام)، يعني: الدخول في هذا الدين والتَّمسُّك به.
- قوله: (قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]).

مَن دانَ بغير دين الإسلام فإن الله -عَزَّ وَجلَّ- لا يقبل منه، وهو من الكافرين والخاسرين، فالدين عند الله هو الإسلام، وإذا ابتغى دينًا غير دين الإسلام فصار يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا أو وثنيًّا أو مُلحدًا؛ فإنَّ الله -عَزَّ وَجلَّ- حكم عليه بأنه لن يُقبَل منه أي عملٍ ولا طاعةٍ ولا قُربَة.

- وقوله: ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أي: من الخالدين في نار جهنَّم، خسر الدنيا وخسر الآخرة، فهذا حكم جميع الأديان سوى دين الإسلام.
- <u>ويُستفاد من هذه الآية:</u>

أنَّ مَن ابتغى التَّقرُّب إلى الله وهو مسلم، ولكنه ابتدع في إسلامه؛ فلن يُقبَل منه ما ابتدع فيه؛ لأن هذه البدعة ليست من الإسلام.

- فقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا﴾، تقدَّم معنى أصل الدين، والمعنى التفصيلي: حتى مَن أراد أن يتقرب إلى الله ويتديَّن ويتعبَّد بشيءٍ لم يشرعه الله -بل هو من البدع- فلن يُقبل منه، وهذا مثل قوله «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسلام﴾ [آل عمران: ١٩]، <u>أي: إنَّ الذي يُحبه الله -عَزَّ وَجلَّ- ويرضاه ويقبله هو الإسلام فقط، ولا دينَ عند الله إلا الإسلام</u>، فعلى كل الأرض -جنّهم وإنسهم، عربهم وعجمهم- أن يدينوا

بهذا الدين، وهو دين الإسلام الذي بُعث به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويسألوا حتى يسلكوا شريعته، ويدخل في دين محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإن لم يفعلوا هذا وماتوا على أديانهم الباطلة؛ فإنهم في نار جهنم خالدين مخلدين فيها -نسأل الله العافية والسلامة.

- فالدخول في دين الإسلام ليس أمرًا اختياريًّا؛ بل هو واجبٌ على كل الخلق -الجن والإنس، العرب والعجم، الذكور والإناث.

- وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فهذا ليس معناه التخيير، وإنما معناه التَّهديد، والمعنى: أنَّه سيرى عُقوبة كفره، وسيرى مآله ومصيره إذا كفر.

- والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- دعا إلى الإسلام، فهناك مَن استجابَ وهناك مَن أبى، فتعامل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مع الذين أبوا بتعاملات مختلفة:

  ☑ تعامل يتعلق بالمعاهدينَ.

  ☑ بتعامل يتعلق بأهل الذِّمَّة.

  ☑ تعامل يتعلق بالمستأمنين -أهل الأمان.

  ☑ تعامل يتعلق بالمحاربين.

- فتعامل -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- معهم في حال ضعف المسلمين، وفي حال قوَّة المسلمين؛ فلنا به الأسوة الحسنة -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو الذي قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا بحَقِّهِ، وحِسابُهُ علَى اللَّهِ»[١].

- ولم يُكرِه نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- اليهود والنصارى على الدخول في الإسلام، وأنزل الله -عَزَّ وَجلَّ- قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولهذا فلو أسلم الرجل بالإكراه والقوة؛ فإنَّ إسلامه لا ينعقد.

◆ **فما الجمع بين قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ» والآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟**

- **الجواب**: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يقل: "أمرت أن أقتل الناس"، فالقتال هو الجهاد في سبيل الله، وهذا في حال قوَّة المسلمين، فيؤمر بالدعوة إلى الإسلام، ويُؤمَر قادة المسلمين بنشر هذا الدين، فمن وقفَ أمام الدعوة وأمام نشر الإسلام يُقاتَل، ثم يُعرَض هذا الدين على الناس، فمن أسلمَ فله الأجر في الدنيا والآخرة، ومن أبى فهو من الكفار، فإن كان من اليهود والنَّصارى فلهم أحكام ذمَّة، أو أحكام العهد، أو أحكام الأمان؛ فلا يُكره على الإسلام بالقوَّة والتهديد. فهذا من الأمور المعلومة عند أهل الفقه والعلم.

[١] أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠).

- ونقول له: يجب عليك الدخول في الإسلام، فإن لم تُسلم فأنتَ كافر وأنت على خطرٍ، وأنت من الخاسرين الهالكين.

- <u>القاعدة الكبيرة:</u> يجب على كل أهل الأرض أن يدخلوا في هذا الدين ويتَّبعوا الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فمن دخل في هذا الدين أسلم، ومَن أبى فهو من الكافرين.

❖ ودلَّ على هذا المعنى قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

❖ وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة ١-٧]

✓ الرسول هنا: محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

✓ والصُّحف: هو القرآن.

✓ الشاهد: هو وجوب الدخول في الإسلام على جميع أهل الأرض.

- والشيخُ ضمَّنَ هذا المعنى: التَّمسُّك بالإسلام الذي هو ثابتٌ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإن هناك أناسًا نسبوا أعمالًا ليست من الإسلام إلى الإسلام، فظنَّ مَن لا يدري وظنَّ الجاهل وظنَّ الذي لم يتعلَّم أنَّ هذا من الإسلام، فصاروا يقتدونَ بهم، فاحتاجَ المسلم إلى أن ينتبه إلى ما هو الإسلام الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- والآية التي بعدها تدل على نفس المعنى، وهي قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فلا شيءَ أصرح من هذه الآية في وجوب اتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتحذير من سبل الضلالة وطرق الغواية.

- <u>وفي هذا بيان أنه لا يوجد تعدُّديَّة ومذهبيَّة فكريَّة في دين الإسلام</u>، فلا يجوز أن يُسمَح أن يتعدَّد الباطل ويُقر أهل الباطل، بل يجب أن يُدعى الناس إلى سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهذا واجب على جميع ولاة أمور المسلمين.

- قال الشيخ: **(قال مجاهد: "السبل: البدع والشبهات")**، هنا لم يذكر "الشهوات" وهذا هو الأرجح والأوضح في هذه الآية، ودلت عليها الأحاديث -كما تقدَّم.

- كما أنَّ هذه الآية في بيان التَّمسُّك بالإسلام والدخول في هذا الدين؛ فهي كذلك في بيان وجوب اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في تفاصيل الدين وشرائع الدين وأعمال الدين، ولا نتَّبع سبيل المبتدعين، بعض الناس يقول: أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ ولكن على الطريقة النقشبنديَّة الصوفية، أو الطريقة القادريَّة، أو الطريقة التِّيجانيَّة!

◆ **لماذا تختار هذه الطُّرق وتترك طريقة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وطريقة الصحابة؟.**

- فإذا قال: القادري والنقشبندي اتبعوا الرسول؛ فنقول: هؤلاء وقع عندهم ما وقع، فهم في الأزمنة المتأخرة وعندهم أخطاء، وهذه الطُّرق الموجودة الآن مليئة بالبدع والضَّلالات والعقائد الفاسدة، وقد أنكر عليهم العلماء هذا؛ فارتفع بعقلك وبدينك إلى طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واترك هذه السُّبل والطُّرق. وهكذا في كل مذهبٍ نِحلَةٍ وفِرقَةٍ من هذه الفِرَق الضَّالَّة.

- ثم أورد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أم المؤمنين، قال: **(وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه. وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»)**.

- هذا الحديث هو أصل كبير يجب على المؤمن أن يجعله نُصبَ عينيه إذا جاء يذكر الله، ويجعله نُصبَ عينيه إذا جاء يصلِّي أو يتعبَّد بأي عبادة، وإذا جاء يتقرَّب إلى الله بأي قُربَة؛ فيتذكر قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**، فهو مردودٌ عليك.

- وحديث البراء بن عازب مشهور، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«إذَا أوَيْتَ إلَى فِراشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»**[٢]. فقال الصحابي: "وبِرَسولِكَ الذي أرْسَلْتَ". فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لَا، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»**[٣]، فردَّها عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وعلَّمه.

- وهذا يُبيِّن لنا أن نلتزم بالألفاظ التي وردت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ونقول للمبتدع: لا تُكلِّف نفسك، ارجع إلى السُّنَّة فإنها تكفي، أما ما خرج عن السنَّة فإن الله لا يقبله منك.

- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا»**، إشارة إلى الدين -يعني: في الإسلام.

---

[٢] أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).
[٣]

- أمَّا الإحداث في أمور الدنيا، مثل السيارات والطائرات والكهرباء والمصابيح والمراكب الجديدة والهواتف، والاتصالات، وبناء المستشفيات والمدارس؛ فهذه لا تتعلق بالدين، فهي أمور الدنيا لم يحرمها الشرع.

- وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» وقوله: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»؛ بعض الناس يُحدث ضلالة عظيمة في أصل العقيدة، مثل: أن يتبع المذهب الباطني، كالدروز والنُّصيْرِيَّة؛ فهي مذاهب خارج الإسلام وليست منه في شيء، ثم تجد بعضهم يسأل عن صوم الخميس، أو يسأل عن أحكام الإحداد للمرأة وهم على دين الباطنية وليسوا على دين الإسلام؛ فكل أعماله ليست بمقبولة؛ لأنه ليس على صراط النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ونقول لمعاشر هذه الطَّوائف: عليكم بالانتقال إلى سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإلى طريق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ومن يتَّبعون الآن الاثنا عشريَّة ويتَّبعون طريقة الحوثيَّة؛ فهذه الطُّرق مليئة بالشرك والخرافات، ولا يتبعون سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ثم يقولون نحن أنصار الله وننصر دين الله!!

◆ أين عقولكم؟! ألا تقرؤون القرآن؟!

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتَّبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتزم بسنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واترك هذه الضلالات واترك هذه العقائد الفاسدة، واعبد الله وحده، لا تعبد الأولياء، ولا تُقدِّس هؤلاء المخلوقين فتتبرك بهم وتعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يُدخلونك الجنة! ما هذه الخرافات؟!

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فعليك أن تنتقل من هذا المذهب الخبيث إلى مذهب أهل السُّنة والجماعة، إلى مذهب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والصحابة والتابعين، وتسير على هذا المنهج، أما إنك تعبد الأئمة وتستغيث بهم وتسجد لهم وتذبح لهم وتطلب منهم المدد؛ ثم تسأل عن أحكام الإحداد أو تقول: أنا حلفت يمين، تسأل عن أشياء وأنت أفسدتَّ الأصل؛ فعملك كله مردود.

❑ قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله قال: قال رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»).

- وهذا يُبين وجوب الدخول في الإسلام، وهو طاعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتزام شرعه، فعلًا لِمَا أمرَ وتركًا لِمَا نهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهذا يُبيِّن فائدة لطيفة جدًّا، وهي أن الذي حُرِمَ من الجنة ومُنِعَ منها هو الذي جنى على نفسه وهو الذي أبى، وهذا يُبيِّن لنا رحمة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بأمَّته، يقول: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

❑ قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري).

- أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة:

✵ الأول: الملحد في الحرم.

- الملحد: هو الذي ارتكبَ إلحادًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

- قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾، يعني: المسجد الحرام، والمراد الحرم كله، فإذا قلنا: "الحرم" يعني حدود الحرم، فلو دخلت حدود الحرم فحذارِ حذارِ أن تكون في قلبك إرادةٌ للمعصية، حتى لو لم تفعلها؛ لأن الله -عَزَّ وَجلَّ- توعَّد أن يُذيق العذاب الأليم مَن أراد حتى ولو لم يفعل، فقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ ولم يقل: "من يُلحد أو من يظلم".

- قوله: ﴿بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والظلم أنواع، أشدها الشرك بالله، فالذي ينشر الشرك بالله -عَزَّ وَجلَّ- كما يُريده أعداء الله من غلاة الرافضة والصوفيَّة الذين يُريدونَ نشر الشرك ونشر الوثنيَّة، ونشر التعلق بالأولياء والأموات، ويطمعون إلى تعظيم المقبورين من دون الله ويسعون في هذا، وقد وفق الله هذه البلاد -بلاد المملكة العربية السعودية بقيادة قادتها حفظهم الله- إلى صيانة الحرمين وصيانة هذه البلاد من كل الشِّركيَّات، ولله الحمد والمنَّة، ونسأل الله أن يُتم هذه النِّعمة ويزيدها هدى وتوفيقًا، ولكن هناك مَن لا يروق له هذا، فيريد نشر الظلم -الذي هو الشرك بالله عز وجل- قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

- والإلحاد الصريح الذي هو الكفر الأكبر بإنكار الخالق وإنكار الإسلام أعظم وأعظم؛ فهذا أبغض الناس إلى الله.

✵ الثاني: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ»، أي: ينشر بين الناس سنَّة الجاهليَّة ويُغير الدين، ويُفسد على الناس دينهم الإسلام، فهذا جريمته جريمةٌ شنيعة.

- وكان قبل مبعث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الناس في مكة على دين إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- على التوحيد، فجاء عمرو بن لحي الخُزاعي فغيَّرَ الدين. ماذا فعل هذا الخبيث؟

- هذا الخبيث الذي رآه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في نار جهنم يجرُّ أمعاءه، وكان أول مَن دعا إلى عبادة الأصنام، وأوَّلَ من سيَّبَ السَّوائب، وهذا الخبيث نشر الشرك بالتَّدرُّج، فلما ذهب إلى عمان والأردن أتى

بأصنام وقال: إنه وجدها مدفونة في جدة، وأن بعض الشياطين أخبرته، فجاء بهذه الأصنام وعظَّمتها العرب، ثم عبدتها من دون الله.

✸ **الثالث:** «وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ»، يعني: يطلب ويسعى ويركض، ويذهب يمنةً ويسرى يُكلِّم ويشتغل؛ فكل هذا السعي والحرص على قتل أخيه المسلم بغير حق، يترصَّد لأخيه ويُراقبه حتى يقتله -نسأل الله العافية والسلامة- فهذا أبغض الناس إلى الله، فيا ويل من فعل هذا بأحدٍ من المسلمين.

- هذه الجملة من كلام ابن تيمية في هذا الكتاب، قال: **(قال ابن تيمية-رحمه الله- قوله "سُنة الجاهلية": يندرج فيها كل جاهليةٍ مطلقةٍ أو مقيدةٍ، أي: في شخص دون شخص، كتابيَّة أو وثنيَّة، أو غيرهما من كلِّ مخالفةٍ لما جاء به المرسلون).**

- **ذُكِرَت الجاهليَّة في القرآن في عدَّة مواضع، منها:**

  ○ قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، الجاهلية الأولى هي التي أطبقت على الأرض، فكل أهل الأرض في ضلالٍ حتى بعث الله رسوله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

  ○ ومنها قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فالجاهلية المطلقة هي التي كانت قبل مبعث الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فكل ما كان في الجاهلية فهو ظلمات وكفر، ونسبتها للجهلِ؛ لأنَّهم لا يرونَ الحق ولا يسمعون به، والعقول البشريَّة مع شياطين الإنس وشياطين الإنس تضل عن سواء السبيل؛ فعمَّ الجهل أهل الأرض كلهم.

- وبعد مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ليست هناك جاهليَّة مطلقة؛ بل تكون في أرضٍ دون أرضٍ، وفي بلدٍ دونَ بلدٍ، وفي شخصٍ دونَ شخصٍ، ولكن لابدَّ أن يبقى الحق، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[٤]، فالدين الإسلامي محفوظٌ بحفظ الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وأهل الإسلام لابدَّ أن يبقى فيهم هذه الطائفة.

- إذن؛ بقيَّة الناس غير هذه الطَّائفة من أهل الإسلام قد يوجد فيهم جاهليَّة تسمى "الجاهليَّة المقيَّدة" وليست جاهلية مطلقة.

[٤] صحيح مسلم (١٠٣٧).

- والعلماء من أهل السنَّة نبَّهوا على غلطٍ في مثل هذا الإطلاق، كقول: "جاهليَّة القرن العشرين"، فهذا غلطٌ؛ لأنه وصف القرن كله بالجاهليَّة، فلا يجوز تعميم وصف الجاهليَّة على أهل الأرض، ولكن نقول: "جاهلية مقيَّدة"، فاليهود في جاهليَّة، والنصارى في جاهليَّة، والذين يشركون بالله ويعبدون الأولياء هم في جاهليَّة، والذين يتركون أحكام الشريعة ولا يتحاكمون إلى شرع الله هم في جاهليَّة، ولكن الجاهلية بالنسبة لمن ادَّعى الإسلام أو كان مسلمًا تسمى: "جاهلية مُقيدة"، أمَّا إذا كان كافرًا فتسمى في حقه: "جاهلية كاملة" ولكنها ليست مُطلقةٌ في أهل الأرض.

- ومن صور الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت؛ وتكون في شخصٍ دون شخصٍ.

- يقول: **(كتابيَّة أو وثنيَّة)**، يعني قد ترد على بعض المسلمين جاهليَّة من أهل الكتاب -اليهود والنصارى- أو ترد عليهم جاهلية من قبل الوثنية، مثلما يلبسون أسورة في هذا الوقت ويقولون إنها تعطي الطاقة! جاؤوا بها من الوثنيين، من كفرة اليابان أو ما ماثلهم من أهل الأوثان، يقولن عل الطاقة، وأن الأحجار تؤثِّر؛ فهذه جاهليَّة وثنية، يُوجد بعضها -مع الأسف- بين المسلمين ويتفاخرون بهذا.

- كذلك الاعتقاد في الأبراج والتَّنجيم، فهذه جاهليَّة حرَّمتها الشريعة، ولكنها ليست عامَّة على أهل الأرض، فالمسلمون -ولله الحمد- الموحدون يبطلونها، ويعتقدون أنها ضلال، ويتبرؤون منها ومن أصحابها، ولكن يوجد من بعض السفهاء من يعتقد في الأبراج؛ فهؤلاء جاءتهم جاهليَّة إما من أهل الكتاب، أو من أهل الأوثان، أو من المجوس، أو من الصَّابئة؛ فجاءتهم هذه الجاهليَّات في طرقٍ منمَّقةٍ وأشكال مزخرفة فاغتروا بها. فهذا هو معنى قوله: **(جاهليَّة كتابيَّة أو وثنيَّة)**.

- قوله: **(أو غيرهما)**، فهناك أنواع كثيرة من أنواع الجاهليات لا حصر، فإن أهل الأرض في أودية الباطل إلا أهل الإسلام فهم على الحق، فيأتي من هنا جاهليَّة أو من هنا، أو من هذا أو من ذاك؛ فيتلقَّفها بعض سفهاء الناس من المسلمين، وتنتشر في بعض الشباب أو بعض الجهات؛ فهذه كله يعتبر من الجاهلية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

